

التيارات الدينية الإصلاحية ابان الدولة العثمانية واثرها على المجتمع العراقي ١٨٧٦ - ١٩١٨

م.د. لقاء جمعه عبد الحسن الطائي

الجامعة المستنصرية، مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية، قسم الدراسات التاريخية

liqaa_altaai@yahoo.com

المُلخَص:

كان للتيارات الدينية الإصلاحية ورجال الدين وكذلك العشائر العراقية دورا هاما في توعية الجماهير والشعوب لمخاطر الاحتلال وضرورة استنهاض الهمم من اجل النهوض بالواقع المزري الذي كانت تعيشه البلاد العربية عامة والعراق خاصة، وتشجيع الشعب على ضرورة المطالبة بحقوقهم المشروعة، والقضاء على الفساد والمطالبة بضرورة توحيد الجهود من اجل بناء مستقبل افضل لابناءهم واطنائهم. لذا نراهم يسعون دوما الى تشجيع التجمعات والمظاهرات الداعية الى الإصلاح وتحسين المستوى المعيشي والاقتصادي للعراق وكان لهم مواقف مشرفة في هذا الجانب من خلال عقد الاجتماعات واصدار الفتاوى التي كان رجال الدين يطلقونها للمطالبة بالحقوق والحرية والعدالة وتخليص العراق من الظلم والاستبداد.

ان المغزى الديني والسياسي الذي حملته فتاوى الدعوة للجهاد اذ تمثل في التعبير العملي عن الموقف الاسلامي المعادي للغرب الاستعماري ومحاربهته، وفي اظهار مدى ادراك المجتهدين لتقديم اولوية الوحدة الاسلامية والدفاع عن الحقوق المسلوبة ضد الحكام والولاة الطغاة، رغم التباين في الرأي واعتراضاتهم القائمة على نهج الدولة العثمانية، وسياسة (الاتحاديين)، فأن الاستجابة الواسعة التي ابدتها التيارات الدينية الإصلاحية والعشائر لدعوات الجهاد، اظهرت الدور الفعال للعامل الديني في اندفاعها للقتال من جهة، ودور العلماء وقدرتهم في استنهاض هذا العامل من جهة اخرى، ومن ثم السعي لتعميقه والاستناد اليه، في الفترة التالية لمقاومة الاحتلال والانتداب ومن اجل المطالبة بالاستقلال التام.

الكلمات المفتاحية: التيارات الدينية، الإصلاح، العهد العثماني، النشاط الفكري، النشاط الثقافي.

Religious Trends in the Ottoman Empire and Its Impact on Iraqi Society

Liqaa Jumma Abd Alhasan Altaai

Mustansiriyah University, Al-Mustansiriya Center for Arab and International Studies,
Department of Historical Studies

Abstract

In fact, during the Ottoman occupation of Iraq in the eighteenth and nineteenth centuries, Iraq, with its various cultural groups, did not witness an ideological-political movement similar to that which occurred in some cities of the Arab-Islamic countries of the Levant, especially in Egypt and the Levant. On the other hand, it witnessed a number of cultural-religious phenomena And literature that took a political character, and formed the preludes to the emergence of an Islamic political intellectual movement, which was prominently expressed by the role of the positions of the Shiite religious establishment, especially the supreme authority, and some of the mujtahids in Najaf, Karila and Samarra, and as also contributed by a number of Sunni scholars in Baghdad. However, the political and intellectual role played by the Shiite Islamic group and its scholars constituted a prelude to their role in that era and to the emergence of an Islamic renaissance that rose to the level of the movement.

Keywords: Religious currents, reform, the Ottoman era, intellectual activity, cultural activity

أولاً: نشأة التيارات الدينية الإصلاحية ابان الدولة العثمانية في العراق

لم يشهد العراق استقراراً حقيقياً، إذ لم يعطيه حكامه حقه وحقوقه المشروعة لابناءه على طول التاريخ وكأن خيرات العراق هي وبال على شعبه، وليس خيراً عميم، وذلك ليس لأنها تذهب الى ايادي الحكام وحسب انما كذلك سبب لصراع الحكام، ومدخل لتنافس الدول ومنها الدولتين الجارتين ايران وتركيا^(١). عند قراءة تاريخ اية دولة اقيمت على ارض العراق، تكتشف وضوح الصراع الذي ليس للأهالي مصلحة فيه، وهكذا فإن الثروات والثراء هو من نصيب الحكام اما الاهالي فنصيبهم الفقر والجوع والامراض والقمع والاضطهاد، ويكونوا دوماً وقوداً لصراع المصالح، فقد دار الصراع بين الدولة الصفوية والدولة العثمانية التي امسكت قبضتها على العراق، بعد ان جهز السلطان العثماني سليمان القانوني جيشاً جراراً واحكم سيطرته على العراق ليسجل احتلالاً طويلاً امتد الى ما يقارب اربعة قرون. وكان لبعد العراق عن استانبول عاصمة الدولة العثمانية، عامل شجعهم على التمرد على السلطان، ومحاولة الاستقلال عنه^(٢). ويمكن استثناء مدد قصيرة عاش العراقيون خلالها بانجازات مهمة وهي المدة التي حكم فيها مدحت باشا، والتي لم تدوم اكثر من ثلاث سنوات، فقد قام بعدة اصلاحات منها (اصدار جريدة الزوراء عام ١٨٦٩م وتأسيس المعامل العسكرية وبناء مستشفى ودار للعجزة وللأيتام وشيد العديد من المدارس ومد خط (للترامواي) الى الكاظمية)^(٣). كانت كلها مع الروح التجديدية التي دلت عليها قد نورت بغداد وبعثت فيها حياة التجدد. ولأول مرة طبقت الاصلاحات العسكرية والمدنية في بغداد في عهد مدحت باشا بعد ان كانت مطبقة مدة طويلة من الزمن في ولايات اخرى. وفرض الخدمة العسكرية ثم اسس البلديات والمجالس الادارية وطبق نظام الولاية الجديد بحذافيره، و كل هذه الخدمات التي قدمها اعجب بها الاهالي كونها غير مألوفاً من والي عثماني^(٤).

اندلعت الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤، واشتركت فيها الدولة العثمانية، واصبح العراق ميداناً واسعاً للحرب التي انتهت الدولة العثمانية والتي امتد نفوذها الى ما يقارب ٣٩٦ عام منذ سيطرة السلطان سليمان القانوني عليه سنة ١٥٣٤م، الى ان احتله الجيش البريطاني عام ١٩١٨م^(٥).

شكلت الجماعات الثقافية (الدينية - المذهبية - الاثنية) تاريخياً، التكوينات الرئيسية للتركيب السكاني في العراق، وكانت بمثابة الاطار الاوسع التي ضمت تكوينات وفئات اجتماعية مختلفة، ومتباينة المواقع والمصالح الاقتصادية. وقد حملت هذه الجماعات خصائص معينة، تميزت بها كل جماعة عن الاخرى. وحيث قطنت الكتلة السياسية لكل جماعة ثقافية، بوجه عام في منطقة معينة، فانها عاشت حياة ثقافية وفكرية واحدة، انتجت تراثاً وتقاليد شعبية تتميز بها. اما علاقات كل جماعة مع الحكومات المختلفة او مع الجماعات الاخرى، فكانت تشمل كل افراد الجماعة تقريباً الذين يتحدد تعاملهم، او التعامل معهم، في ضوء تلك العلاقات العامة^(٦).

عبرت هذه الاوضاع للجماعات الثقافية عن واقع تاريخي اتسم به المجتمع العراقي وخاصة في القرون الاخيرة، وبدوره فقد اظهر هذا الواقع الدور الرئيسي الذي لعبته هذه الجماعات وزعاماتها الدينية والاجتماعية في الاحداث والتطورات السياسية، وكذلك دور العوامل الثقافية والايولوجية فيها، لا سيما وان هذه العوامل قد تضمنت او تجلت في اطارها العوامل الاجتماعية وتناقضاتها. ولعل بعض الشواهد التاريخية يعطي دليلاً واضحاً على ذلك. فمثلاً كثيراً ما نشهد ان مصير الثورات والتمردات وحالات الاستياء

(١) الحسني، عبد الرزاق، تاريخ العراق السياسي الحديث، ج ١، ط ٧، الرافدين للطباعة والنشر، لبنان، ٢٠٠٨، ص ٤٠.

(٢) لونكريك، ستيفن همسلي، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة سليم طه التكريتي، بغداد، ١٩٨٠، ص ٣٥٩-٣٦٠: وانظر، الحلفي، جاسم، الحركات الاجتماعية في العراق، الجذور، المسارات، الدور السياسي، ط، دار سطور للنشر، بغداد، ص ١٢١-١٢٤.

(٣) بطاطو، حنا، العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية، بيروت، ٢٠٠٣، ص ٣٩.

(٤) حبيب، كاظم، لمحات من عراق القرن العشرين، ج ٣، مؤسسة حمدي للطباعة، السليمانية، ٢٠١١، ص ٧٦.

(٥) العطية، غسان، العراق نشأة الدولة، ١٩٠٨ - ١٩٢١، دار الاعلام، لندن، ١٩٨٨، ص ٣٤٠.

(٦) كمال الدين، محمد علي، التطور الفكري في العراق، بغداد، ١٩٥٩، ص ٢٣.

الشعبي لسكان الريف (العشائر) والمدن، المتولدة عن تلك التناقضات او عن اي سبب اخر. كان يتحدد غالبا بمدى استجابة او احتواء القيادات الدينية والاجتماعية التي تنزع تلك الجماعات لها^(٧).

هكذا نرى ان هذا الواقع مكن علماء الدين واعيان ووجهاء الجماعات في المدن والريف، من تبوء موقع المتحدث الرسمي باسمها. وربما الممثل لمصالحها حيث كان عامة افراد الجماعة ينظرون اليهم، وخاصة الى العلماء نظرة ولاء وطاعة. وهذا مكنهم ايضا لان يكونوا اكثر تهيؤاً وقدرة في التعبير عن المواقف والاتجاهات الفكرية والسياسية، التي طالما تقدم على انها باسم الجماعة كلها^(٨).

شكل المسلمون في العراق الجماعة الثقافية الدينية الاساسية، التي تميزت عن جماعتين صغيرتي الحجم وهم اليهودية والمسيحية، غير ان الجماعة الاسلامية ورغم الوحدة الثقافية والايولوجية والحضارية التي تجسدها. توزعت الى ثلاث جماعات شكل الانتماء المذهبي العامل الرئيسي في تمايز الجماعتين منها، هما المسلمون الشيعة والسنة. بينما شكل الانتماء الاتني العرقي، العامل الرئيسي في تمايز الجماعة الثالثة، التي يمثلها المسلمون الاكراد، وهم في غالبيتهم من المسلمين السنة^(٩).

ثانيا: النشاط الفكري والثقافي للتيارات الدينية الاصلاحية ولعلماء الدين في العهد العثماني:

شكل قيام الثورة الدستورية (المشروطية) الاولى في ايران ١٩٠٥ - ١٩٠٦ المظهر السياسي الاول لنشوء التيارات الاسلامية في العراق، ولا يعود السبب في ذلك الى انعكاس احداثها وتأثيرها بشكل واسع على الرأي العام في معظم مناطق العراق، ولا سيما المدن والمناطق الشيعية فحسب وانما ايضا دور علماء النجف الاشرف في الاعداد لهذه الثورة وقيادته^(١٠).

واذا كان دعم علماء النجف وقيادتهم للحركة الدستورية في ايران قد مثل مع نتائج واثار احداثها على العراق، احد المظاهر السياسية للتيارات الاسلامية، فان مظهرها السياسي الاخر تمثل في دعم وتأيد الحركة الدستورية في استانبول ضد السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، وفي التعاون مع حزب (الاتحاد والترقي)^(١١) في السنوات الاولى من توليه الحكم الا انه انقلب عليهم فيما بعد. وبالطبع فان تأييد الحركة الدستورية في استانبول انما كان يستند الى الموقف المبدئي لعلماء النجف في معارضة الاستبداد والدعوة لاقامة انظمة حكم في البلدان الاسلامية تستند الى الاسس الدستورية^(١٢).

بدأ نشاط التيارات الاسلامية في النجف يمتد الى الاستانة، مع ظهور لجنة السعادة (انجمن سعادة) التي كانت بمثابة الرابطة الوحيدة بين استانبول والنجف وطهران وقد ساندت اللجنة الحركة الدستورية في العراق، وكان الشيخ اسد الله المامغاني، الذي كان يدرس الحقوق في استانبول، واحد اعضاء (هيئة العلماء) ممثلا لعلماء النجف فيها^(١٣). وفي المقابل قدم علماء النجف دعمهم لدعاة الدستور الاتراك في مواجهة استبداد السلطان عبد الحميد ضدهم. وقد ارسل الملا كاظم الخراساني ب(برقية مطولة) الى السلطان عبدالحميد تضمنت انذارات وتهديدات ونصائح في ان واحد ودعوته للاستجابة لمطالب الدستوريين^(١٤)..

(٧) المحافظة، علي، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (١٧٩٨-١٩١٤)، بيروت، ١٩٨٠، ص ٢١٤.

(٨) عطية، غسان، التنظيم الحزبي في العراق قبل الحرب العالمية الاولى، مجلة دراسات عربية، العدد ١٢، السنة ٨، بيروت، ١٩٧٢، ص ٣٣.

(٩) خدوري، مجيد، الاتجاهات السياسية في العالم العربي، بيروت، ١٩٧٢، ص ص ٧٠-٧٥.

(١٠) Batatu. Hanna, The old social classes and the revolution movement of Iraq, London, 1978, P.35, اندلعت في تموز ١٩٠٨م انتفاضة مسلحة في تركيا كانت قد اعدت لها جمعية الاتحاد والترقي التي تآلفت عام ١٨٩٤م وقد انتسب الى هذه الجمعية الضباط الطليعيين والمثقفين الذين كانوا يعكسون مصالح البرجوازية التركية ويؤيدون تحويل الدولة العثمانية الى دولة برجوازية - دستورية فكان بعث الدستور من مطالبهم الرئيسية، الا ان السلطان عبدالحميد الثاني استطاع ان يعرف امكانهم السرية وتنظيماتهم وفي عام ١٨٧٩ و ١٨٩٩ اذ جرت محاكمة اعضاء جمعية الاتحاد والترقي وغادر الكثيرون من مؤيديها الى خارج البلاد. للتفاصيل انظر: لوتسكي، أ.ف. تاريخ الاقطار العربية الحديث، ترجمة عفيفة البستاني، دار التقدم، موسكو، ١٩٧١، ص ٣٩٤.

(١٢) ايرلند، فيليب، العراق دراسة في تطوره السياسي، مترجم، بيروت، ١٩٤٩، ص ص ١٣٤-١٣٥.

(١٣) الاسدي، حسن، ثورة النجف ضد الانكليز، بغداد، ١٩٦٤، ص ص ٦٠-٦١.

(١٤) كمال الدين، محمد علي، ثورة العشرين في ذكراها الخمسين، بغداد، ١٩٧١، ص ٤.

توطدت علاقات التعاون بين الاتحاديين والحركة الدستورية في النجف من خلال انشاء فرع لحزب (الاتحاد والترقي) في النجف الاشرف، اذ جرى افتتاح مكتبه (باحتيال عظيم) وقد ازداد هذا التعاون بتشكيل جبهة تضم (الهيئة العلمية) وفرع (الاتحاد والترقي) في النجف. الا ان هذه العلاقات التي استمرت نحو ثلاث سنوات انهارت وانتهت مع بروز سياسة التتريك (الطورانية) التي شرع الاتحاديون بانتهاجها. فقاومتها الحركة الدستورية في النجف ذلك وكانت الخطوة الاولى على هذا الصعيد، اغلاق مكتب (الاتحاد والترقي) نهائيا في المدينة^(١٥).

اما المظهر السياسي الاخر للتيارات الاسلامية في العراق فقد تمثل في مقاومة محاولات الدول الاستعمارية الاعتداء على البلدان الاسلامية او احتلالها، فعندما حاولت روسيا الاعتداء على ايران وتجاوز حدودها عام ١٩١١، ارسل الملا كاظم الخراساني برقية احتجاج شديدة اللهجة الى الحكومة الروسية وحثها على التراجع، ومع استمرار الاعتداء اصدر الخراساني (فتوى) الجهاد ضد الروس وسفر المجاهدين الى ايران^(١٦). كما اصدر الخراساني في الوقت نفسه فتوى ثانية للجهاد والدفاع عن ليبيا ضد الاحتلال الابيطالي لها. واستجابة لتلك الفتوى انطلقت تظاهرات وعقدت اجتماعات عامة وتشكلت لجان في معظم المدن العراقية ولا سيما في الكاظمية وسامراء والنجف وكربلاء، اشترك فيها عدد من زعماء الفرات الاوسط، وضمت اشخاصا من الطائفتين الشيعية والسنية، بهدف دعم حركة الجهاد في ليبيا، وقد رفعت خلال التظاهرات والاجتماعات شعارات تدعو الى نبذ الخلافات المذهبية وتوحيد جهود المسلمين السنة والشيعية^(١٧).

اما المظاهر الفكرية التي مثلت الوجه الاخر للتيارات الدينية الاصلاحية في تلك الفترة فتمثلت في عدد من التعبيرات كان اهمها: صدور مؤلفات فكرية- سياسية لعلماء بارزين في العراق،، عالجا فيها عددا من القضايا والمشاكل التي كانت تواجه المجتمعات الاسلامية، التي تتشابه بدرجة كبيرة، مع القضايا والمشاكل التي كانت مطروحة على حركة التجديد والاصلاح الاسلامي التي تزعمها جمال الدين الافغاني ومحمد عبده في اواخر القرن التاسع عشر^(١٨).

اما حركة الشعر السياسي التي ظهرت بداياتها الاولى في معظم المدن الرئيسية في والنجف والموصل والبصرة) اواخر القرن التاسع عشر، ثم اتسع نطاقها مع مطلع القرن العشرين، لاسيما بعد الانقلاب الدستوري العثماني كما في سوريا ولبنان، فقد تبلور داخلها تيار اسلامي متميز تمثل بشكل اساسي، بعدد من الشعراء الشيعة من العلماء والمتقنين الاسلاميين كان ابرزهم عشرة شعراء نشرت اشعارهم عام ١٩١٣ بمجموعة شعرية سميت (العراقيات)^(١٩). اصدرها الشيخ رضا الشبيبي بمشاركة الشعراء اللبنانيين الشيخ سليمان الظاهر والشيخ احمد الزين. وقد تميزت هذه الاشعار بالرغز المطلق للاستعمار الغربي والتشكيك بحضارة الغرب، باعتبارها حضارة عدوان وهمجية وبالدعوة الى مقاومة الاستعمار الغربي دون هوادة، والنقد الشديد الذي تضمنته قصائدهم للحضارة الغربية^(٢٠).

هذه المظاهر السياسية والفكرية الرئيسية وتياراتها التي ظهرت بها التيارات الاسلامية في العراق خلال الفترة ١٩٠٠-١٩١٤، وكذلك دور العلماء المسلمين القيادي والتوجيهي فيها كانت مقدمة لاتساع نطاق هذه التيارات في السنوات العشر التالية، والتي بدأت فيما بعد بقيادة العلماء لحركة الجهاد ضد الغزو والاحتلال الانكليزي للعراق عام ١٩١٤م^(٢١).

كانت الارهاصات الاولى لهذه التيارات، قد بدأت تظهر منذ اواخر القرن التاسع عشر، وتمثلت في اطلاق الدعوة الى مقاومة الغزو الثقافي والتغلغل الاقتصادي الاوربي، وقد تجلى ذلك في النشاط الفكري ونشر عدد من المؤلفات الموجهة لنقد

(١٥) الوردي، علي، لمحات اجتماعية في تاريخ العراق الحديث، ج٣، بغداد، ٩٧٠١، ص ص ١٢٣-١٢٤.

الجابري، محمد هليل، الحركة القومية العربية في العراق بين ١٩٠٨-١٩١٤، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية ابن.(١٦) رشد، جامعة بغداد، ١٩٨٠، ص ص ٤٢٦-٤٢٧.

(١٧) الفياض، عبدالله، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠، بغداد، ١٩٦٣، ص ٨٢.

(١٨) العزاوي، عباس، تاريخ العراق بين احتلالين، ج٤، بغداد، ١٩٧٥، ص ص ٨٧-٧٧؛ الاسدي، حسن، المصدر السابق، ص ص ٦٧-٦٨.

(١٩) المقدسي، انيس الخوري، الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث، ط٢، بيروت، ١٩٦٠، ص ص ٣٤-٣٧.

(٢٠) الامين، السيد محسن، اعيان الشيعة، ج١، بغداد، ١٩٦٠، ص ص ١٩٠-١٩٥.

(٢١) الهلالي، عبد الرزاق، دراسات وتراجم عراقية، بغداد، ١٩٧٢، ص ص ٣٣-٣٤.

الحضارة الغربية والتحذير من مخاطر غزوها للمجتمعات الاسلامية. وكان الشيوخ جواد البلاغي ورضا الطهراني من ابرز علماء النجف الذين اهتموا بهذا الموضوع. اما المظهر السياسي لهذه المقاومة فقد تمثل في موقف السيد حسن الشيرازي المرجع الاعلى للمسلمين الشيعة انذاك، من قضية التتباك في ايران بأفتائه بتحريم استعمال التبغ، الذي منح الشاه احدى الشركات البريطانية امتيازاً باحتكاره^(٢٢).

لم يكن العراق في اواخر القرن التاسع عشر يملك ارضية ثقافية لنمو الحركة القومية. فعلى خلاف سوريا ومصر. لم تكن للعراق اتصالات وثيقة بالأفكار الاوربية او البعثات التبشيرية، فضلاً عن ذلك ان المستوى التعليمي في البلاد كان منخفضاً جداً، وهو ما يجعل تقبل الافكار الحديثة والآراء التنويرية هو من الصعوبة بمكان، لذلك تأخر العراق في النهضة الثقافية والسياسية بالقياس الى بلدان من المشرق العربي وبخاصة مصر وبلاد الشام^(٢٣).

الا ان الحدث المفصلي والاهم في مطلع القرن العشرين الذي تأثر به العراقيون بصورة عامة هو الانقلاب العثماني عام ١٩٠٨ الذي يعد نقطة تحول اساسية في تاريخ العراق الحديث، فبعد ثلاث عقود من حكم عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩) الاستبدادي، قام مجموعة من ضباط (الاتحاد والترقي) بالضغط على السلطان واجباره على اعلان الدستور عام ١٩٠٩، الذي ارتكز على المبادئ الثلاث التي سبق ان نادت بها الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ وهي (الحرية والعدالة والمساواة) والغاء التمييز الديني والقومي في الدولة العثمانية والاقاليم التابعة لها. فيما كانت الحركة الدستورية التي رافقت الانقلاب العثماني عام ١٩٠٨ الحافز الاساس في بلورة تلك النهضة سياسياً وفكرياً من خلال تبني المقولات والمفاهيم العصرية التي نادت بها^(٢٤).

وكانت اصداء الانقلاب العثماني في العراق ظاهرة للعيان، وتفاعل معها المثقفون والادباء بأيجابية، وأيدوها بحماس منقطع النظير، وعدها بعض الباحثين المرتكز الدلالي الاول في بلورة الوعي والمشاركة السياسية في العراق. فقد انتشرت المطبوعات والصحف بصورة لا مثيل لها في البلاد سابقاً حتى وصل عددها الى (٧٠) صحيفة، اهمها بغداد والابقاظ وتنوير الافكار والنور وشمس المعارف والعلم والحقوق والدستور والنهضة والانقلاب^(٢٥)، كما شهد هذا العقد ميلاد اول حياة حزبية قائمة على التعددية في تاريخ العراق، تمثلت بتأسيس فروع لجمعية (الاتحاد والترقي) في بغداد والبصرة والنجف والموصل، وانشاء العديد من الجمعيات السرية والعلنية ذات التوجه الاصلاحي - العربي التي تأثر بعضها بالجمعيات التي تأسست في استانبول وبيروت والقاهرة^(٢٦).

ثالثاً: الموقف الفكري والسياسي للتيارات الدينية الاصلاحية في العهد العثماني

وفي غضون الفترة ١٩٠٠ - ١٩١٤ حدثت تطورات سياسية واجتماعية وفكرية كان لها نتائج واثار كبيرة الاهمية على صعيد منطقة الشرق العربي - الاسلامي ومنها الدولة العثمانية. التي يشكل العراق جزءاً منها، وكان اهمها اتساع التغلغل الاوربي باشكاله المختلفة، وبروز مشاريع السيطرة السياسية والعسكرية الاوربية على المنطقة الى العلن، وقيام الثورة الدستورية في ايران خلال ١٩٠٥ - ١٩٠٦ و ١٩٠٨ - ١٩٠٩، وثورة (تركيا الفتاة) وعلان الدستور العثماني الثاني في ١٩٠٨ - ١٩٠٩، ثم تشكيل احزاب وجمعيات سياسية في عدد من المدن العراقية الرئيسية، رفعت شعارات (الاصلاح) او (الاستقلال الذاتي) المحلي او القومي^(٢٧).

(٢٢) نعني بالتيارات الاسلامية هنا مجمل نشاط ومواقف العلماء ورجال الدين في المجال الديني - سياسي تستند على الدور (القيادي العضوي للعلماء) في علاقاتهم مع الناس الذين ينصاعون لاوامرهم وفتاويهم. وقد اتخذت التيارات الدينية في بعض الاحيان اشكالا تنظيمية، باقامة جمعيات وهيئات يقودها العلماء. للتفاصيل انظر: الجابري، محمد هليل، المصدر السابق، ص ٢٤.

(٢٣) في الواقع لم يشهد العراق، بجماعته الثقافية المختلفة، خلال تلك الحقبة حركة فكرية - سياسية مماثلة لتلك التي حصلت في بعض بلدان المشرق العربي - الاسلامي وخاصة في مصر الا انه شهد بالمقابل عدداً من الظواهر الثقافية - الدينية والادبية التي اتخذت طابعاً سياسياً، وشكلت مقدمات انبثاق حركة فكرية سياسية اسلامية، عبر عنها بشكل بارز دور ومواقف المؤسسة الدينية الشيعية، ولا سيما المرجعية العليا، وبعض المجتهدين في النجف وكربلاء وسامراء، كما وساهم فيها وبشكل محدود عدد من العلماء السنة في بغداد. للتفاصيل انظر، خدوري، مجيد، المصدر السابق، ص ١٠٧..

(٢٤) نظمي، وميض جمال، شيعة العراق والقومية العربية، مجلة المستقبل العربي، العدد ٤٢، ٤٣، بيروت، ١٩٨٢ ص ٧٠-٧٥ (25(Warriner.D; Land and proverty in the Middle East, London, 1948, PP104 -106.

(٢٦) النفيسي، عبد الله، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، دار النهار، بيروت، ١٩٧٣، ص ٣٥.

(٢٧) لونكريك، ستيفن همسلي، اربعة قرون من تاريخ العراق، ترجمة، جعفر خياط، بيروت، ١٩٤١، ص ٢٩٤

هذه التطورات ونتائجها كان لها تأثيرات كبرى على مجرى ومسار الاحداث وعلى تكوين الاتجاهات الفكرية - السياسية في العراق، لكن هذه التأثيرات اختلفت ايضا تبعا لاختلاف أوضاع الفئات والجماعات الثقافية في المدن والمناطق المختلفة وقد عكس بوجه خاص قيام الاحزاب والجمعيات او الموقف منها جانبا مهما لطبيعة الاتجاهات الفكرية - السياسية والاجتماعية التي سادت بعض المدن الرئيسية، خلال الفترة التي سبقت الاحتلال الانكليزي عام 1914م.

ومنذ مطلع القرن العشرين اخذت تتوضح بشكل اكبر المعالم الفكرية والسياسية لظهور التيارات الاسلامية الاصلاحية لاسيما بعد قيام الثورة الدستورية في ايران ١٩٠٥ - ١٩٠٦ وانعكاس اثارها على العراق^(٢٨)، بعد اعلان كبار المجتهدين وفي مقدمتهم الشيخ كاظم الخراساني تأييدهم ودعمهم لهذه الثورة والافتاء، بأن الخروج على الدستور الذي يؤيده الشعب بمثابة خروجه عن الاسلام^(٢٩). وكان من اثار الاحداث في ايران على العراق اطلاقها حركة جدل واسعة وامتد الى اقسام كبيرة من السان فضلا عن العلماء والمثقفين ومن مظاهر هذا الجدل صدور كتاب في تلك الفترة اثار ضجة وجدلا استمر لسنوات وهو الكتاب الموسوم (تنبيه الامة وتنزيه الملة في وجوب المشروطة) للشيخ محمد حسين النائيني احد كبار المجتهدين الذي عالج فيه مفهوم التوحيد والانطلاق من ذلك لمعالجة شرعية مقاومة الحكومات الاستبدادية، والعمل على اقامة حكومات دستورية نيابية بدلا عنه^(٣٠).

تعد تيارات الحركات الإصلاحية الدينية التي ظهرت في معظم المحافظات العراقية في بغداد والنجف وكربلاء وسامراء أحد أبرز الحركات الفكرية التي ظهرت ملامحها في بدايات القرن العشرين في العراق إذ أسهمت اسهاما مؤثرا في تكوين حركة التحديث والإصلاح في الدولة العراقية. وانبثق عن الإصلاح ومشاريع معالجته والطروحات المختلفة إزاءه رفضا وقبولا، إيجابا وسلبا^(٣١)، نتج عنه تناقضات أخذت في أحيان غير قليلة سمة صراع فكري تمخض عنه نشاط بين مختلف التيارات سواء كانت تقليدية أم حديثة. وتجديدية، وبروز العديد من رواد حركة الإصلاح والتجديد في النجف أمثال محمد كاظم الخراساني ومحمد علي الحسيني الملقب بـ (هبة الدين الشهرستاني)، ومحمد سعيد الحويبي، ومحمد رضا الشبيبي ومحمد باقر الشبيبي، ومحمد علي كمال الدين وغيرهم من المفكرين والأدباء^(٣٢).

وفي نهاية العقد الاول، اتسع نطاق التيارات الاسلامية ببروز الدور الفعال للعلماء كأداة حاسمة في النشاط والتحريك السياسي، وفي دور فتاويهم الدينية - السياسية والمناقشات العامة حولها، في توليد وعي عام في العراق، حتى بلغت النجف على هذا الصعيد انذاك، ذروة مكانتها كمركز للعواصف السياسية^(٣٣). وقد اعقب ذلك توسعا في النشاط الفكري الاسلامي تمثل في اصدار السيد هبة الدين الشهرستاني، وهو احد العلماء البارزين في النجف مجلة (العلم) التي اعتبرت من اشهر مجلات تلك الفترة^(٣٤).

(٢٨) قبل عام ١٩٠٨ لم يشهد العراق اي تنظيم سياسي. (بالمعنى الحديث، اما بعد هذا التاريخ، فقد تأسست احزاب وجمعيات سياسية وادبية في عدد من المدن الرئيسية ن التي كانت في معظمها فروعاً للجمعيات والتنظيمات العربية التي تأسست في استانبول ودمشق وبيروت والقاهرة وباريس حيث شارك العديد من العراقيين في تأسيسها او الانتماء اليها. وخلال تلك الفترة تأسست اثنتا عشر جمعية وناد ادبي - سياسي - ديني وانشئت في بعض المدن العراقية فروعاً لـ (الاتحاد والترقي) و (الحر المعتدل) و (الحرية والائتلاف) اضافة الى العديد من الجمعيات. للتفاصيل انظر، نوار، عبدالعزيز سليمان، تاريخ العراق الحديث، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٢٣٩.

(٢٩) حوراني، البرت، الفكر العربي في عصر النهضة، بيروت، ١٩٧٧، ص ٢٦٨.

(٣٠) الورد، علي حسين، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، بغداد، ١٩٧٢، ج ٣، ص ص ١١٥ - ١٢٠.

(٣١) نظمي، وميض جمال، المصدر السابق، ص ٧٧.

(٣٢) الفياض، عبدالله، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠، بغداد، ١٩٦٣، ص ٥٠.

(٣٣) لوتسكي، المصدر السابق، ص ٧٩.

(٣٤) صونار، الكاي، تحول الامبراطورية العثمانية، المجتمع، الاقتصاد، الايديولوجيا، مجلة (الواقع)، العدد ٤، شباط ١٩٨٢، بيروت، ص ٤٢.

رابعاً: موقف التيارات الدينية الإصلاحية وعلماء الدين من الاحتلال البريطاني للعراق

بعد اعلان الحلفاء الاوربيين الحرب على الدولة العثمانية وبدء الاحتلال الانكليزي للعراق بغزو ميناء الفاو في ١٦ تشرين الثاني ١٩١٤. اصدر شيخ الاسلام مفتي الدولة العثمانية في السابع من الشهر ذاته حكماً شرعياً (فتوى) اوجب فيه الجهاد ضد احتلال الحلفاء على جميع المسلمين في العالم، بما فيهم الذين تحت حكم بريطانيا وفرنسا وروسيا^(٣٥).

توجه عدد غير قليل منهم الى جبهات القتال، اصبح الدور السياسي القيادي للتيارات الدينية وللعلماء، احد الحقائق المهمة التي ستترب عليها نتائج كبيرة في التطورات السياسية في العراق^(٣٦).

وفي الوقت ذاته اصدر كبار العلماء المسلمين الشيعة بمبادرة منهم او بالاستجابة لفتوى شيخ الاسلام، فتاوى مماثلة تدعو للجهاد ومقاومة الاحتلال الانكليزي وتأييد العثمانيين في الحرب وقيامهم بعد ذلك بتعبئة سكان المدن والعشائر وحثهم على الجهاد ومن ثم تنظيم تطوع المجاهدين وقيادتهم الى جبهة الحرب ومشاركتهم في القتال. عبر هذين التطويرين الحاسمين اللذين تمثلتا بالاحتلال الانكليزي والدعم لجهاده دخلت التيارات الدينية الاسلامية في العراق حقبة جديدة هامة من تطورها السياسي والفكري امتدت نحو عقد من الزمن، كانت المواجهات المسلحة التي انخرطت فيها السمة البارزة للطور الاول من هذه الحقبة^(٣٧). قبل بدء الاحتلال وانطلاق حركة الجهاد لم تكن العلاقات العثمانية - الشيعية حسنة غير ان هذين الحدثين شكلا قاعدة مهمة لتحسنها ومن ثم توفير شروط التعاون والمواجهة المشتركة للانكليز والجهاد ضدهم^(٣٨). ومنذ اعلان الجهاد اظهرت الحكومة اهتمامها بالدور الديني والسياسي الذي يستطيع العلماء المسلمون القيام به في حركة الجهاد وقوة تأثيرهم على المسلمين داخل العراق وخارجه. الا ان في اعقاب الهزيمة التي اسفرت عنها معركة الشيعية والتصدع وسرعان ما تردت الى حد الصدمات الموضعية بين الجهاد بالانحسار بينما اخذت العلاقات العثمانية - الشيعية بالتصدع وسرعان ما تردت الى حد الصدمات الموضعية بين السلطات العثمانية المحلية وبين بعض عشائر وسكان مدن الفرات الاوسط كان ابرزها واهمها الحوادث التي وقعت في النجف وكربلاء والحلة بين ايار ١٩١٥م وايار ١٩١٦م^(٣٩).

اما الاتجاه الذي برز في مقابل ذلك وشكل الظاهرة الاكثر شمولاً في عكس الواقع والاجواء التي سادت بعد معركة الشيعية وحتى نهاية العهد العثماني في العراق فهو الاستمرار في حركة الجهاد رغم انحسارها بأشكال غير نظامية وبالتعاون مع العثمانيين ومن ثم بقاء العلاقات العثمانية - الشيعية بوجه عام حسنة رغم ما اصابها من فتور وتدهور^(٤٠).

فخلال السنتين اللتين استغرقهما تقدم القوات الانكليزية لاحتلال بغداد، بعد احكام السيطرة على البصرة قامت اغلبية عشائر الفرات الاوسط ودجلة وسكان المدن التي اخترقتها القوات الانكليزية في طريقها الى بغداد بمساعدة الجيوش العثمانية بكل انواع المساعدة، انطلاقاً من الالتزام بفتوى الجهاد وقد اتخذت تلك المساعدة على الصعيد العسكري اشكالا عدة، كمناداة المجاهدين عن العشائر للقوات الانكليزية واعاقه تقدمها، او في القيام بعمليات خلف خطوط القوات الانكليزية وضرب طرق الامداد^(٤١). او في الاشتراك المباشر مع القوات العثمانية في معارك نظامية. ولقد كان لمشاركة المجاهدين هذه للجيش العثماني اهمية كبيرة في عرقلة تقدم القوات الانكليزية في كثير من المواقع وفي الحاق الخسائر الفادحة بها. اما دور العلماء ورجال الدين

(٣٥) حوراني، البرت، الاصلاح العثماني والمشرق العربي، مجلة(الواقع)، العدد ٤، شباط ١٩٨٢، بيروت، ص ٨٣.

(٣٦) كوتولوف. ل. ن.. ثورة العشرين التحررية الوطنية، مترجم، بيروت، ١٩٧٢، ص ٦٨.

(٣٧) كانت حركة الجهاد اولى المواجهات المسلحة التي قادها واشترك فيها العلماء ورجال الدين الشيعة ضد الاحتلال، والتي شكلت تجربة مهمة ومقدمة للمواجهتين المسلحتين التاليتين وهما: ثورة النجف عام ١٩١٨، وثورة العشرين الكبرى ١٩٢٠ غير انها تميزت عنهما في كونها تمت في اطار حركة الجهاد العام الذي اعلنته الدولة العثمانية وفي ما حملته بسبب ذلك من دلالات فكرية وسياسية للتفاصيل انظر: الجبوري، عبد الجبار حسن، الاحزاب والجمعيات السياسية في القطر العراقي ١٩٠٨-١٩٥٨، بغداد، ١٩٧٧، ص ٤٠.

(٣٨) الاعظمي، احمد عزت، القضية العربية، اسبابها، مقدماتها، تطوراتها ونتائجها، بغداد، ١٩٣٢، ص ص ٣٥ - ٣٩.

(٣٩) الحسني، عبد الرزاق، العراق في دوري الانتداب والاحتلال، بيروت، ١٩٣٥، ج ١، ص ٢٨٨.

(40) Bill. G.L.The Letters of Gertrud Bill, Vol. 2,London,1927,P.450.

(41)(Jamal. M. F. ;The new Iraq. Its problem of bedowin education, London, 1940,P.138.

في هذه المعارك، فقد اتخذت شكلين اما المشاركة المباشرة فيها، كمساهمة عدد من العلماء وطلبة العلوم الدينية في معركة سلمان باك في تشرين الثاني ١٩١٥م او في توجيه وارشاد زعماء العشائر الذين يقودون المجاهدين من عشائريهم^(٤٢).

هذه التعبيرات التي اتخذتها حركة الجهاد وتأييد العثمانيين منذ معركة الشبيبة حتى الاحتلال الانكليزي لبغداد في ١١ اذار ١٩١٧، لم تتوقف عند هذا التاريخ، الذي شكل خطوة حاسمة في طريق احتلال كامل الاراضي العراقية. فقد اتخذت حركة الجهاد بعد الهدوء النسبي الذي اعقب السيطرة على المناطق الوسطى والجنوبية شكل الانتفاضة المسلحة، التي تمثلت بثورة النجف في اذار - نيسان ١٩١٨، في حين اتخذ التعاون مع العثمانيين في اواخر عهدهم في العراق شكل تعاون مع بعض زعماء الثورة من العلماء ورجال الدين ورؤساء العشائر، اما بعد ذلك فقد اتخذ الجهاد شكلا مستقلا عن العثمانيين الذين كانوا قد غادروا العراق تمثل ذلك بثورة العشرين ١٩٢٠^(٤٣).

ان المغزى الديني والسياسي الذي حملته فتاوى الدعوة للجهاد اذ تمثل في التعبير العملي عن الموقف الاسلامي المعادي للغرب الاستعماري ومحاربه، وفي اظهار مدى ادراك المجتهدين لتقديم اولوية الوحدة الاسلامية والدفاع عن الدولة العثمانية ضد عدو خارجي مشترك، على التباين المذهبي وعلى الاعتراضات القائمة على نهج الدولة العثمانية وسياسة الاتحاديين فان الاستجابة الواسعة التي ابدتها العشائر لدعوات الجهاد، اظهرت الدور الفعال للعامل الديني في اندفاعها للقتال من جهة ودور العلماء وقدرتهم في استنهاض هذا العامل من جهة اخرى ومن ثم السعي لتعميقه والاستناد اليه في الفترة التالية. لمقاومة الاحتلال والانتداب والمطالبة بالاستقلال التام^(٤٤).

اعتبرت السنوات التي اعقبت الحرب العالمية الاولى ومؤتمر الصلح في باريس عام ١٩١٩ فرصة تاريخية لنشر الديمقراطية والقيم الليبرالية في المنطقة العربية، لاسيما وان مبادئ الرئيس الامريكي (ودرو ولسن) الاربعة عشر، اكدت على الترويج الى هذه المفاهيم، وحق الشعوب في تقرير مصيرها بعد سقوط وانهايار الامبراطوريات الاستبدادية القديمة في روسيا والمانيا والنمسا والدولة العثمانية على ايدي القوى الديمقراطية العريقة في اوربا الغربية وامريكا الشمالية^(٤٥). وبما ان العراق كان من ضمن تلك الدول التي تخلصت من سيطرة الدولة العثمانية اثناء الحرب العالمية الاولى من خلال السيطرة الانكليزية المباشرة عليه، فقد عملت الاخيرة على ادراج النظام الديمقراطي والقيم الليبرالية في الدولة العراقية الحديثة التي تأسست عام ١٩٢١، والقائمة على المؤسسات الدستورية والاليات والمفردات الديمقراطية كالاستفتاء والانتخاب ومجلس النواب وحرية الصحافة والملكية الدستورية والتداول السلمي للسلطة واستقلال القضاء وغيرها. ورغم السلبات والاختلالات الكبيرة التي صاحبت التجربة الديمقراطية في العراق الملكي، الا انه يعد حالة متقدمة بالقياس الى واقع الانظمة السياسية العربية المجاورة للعراق اولا، او بالقياس الى الواقع العراقي المتأخر انذاك، والذي تهيمن عليه البنى الاجتماعية لقوى ما قبل الدولة كالطائفة والعشيرة والعائلة والاثنية والشيوخ والاغوات ثانيا^(٤٦).

خامساً: دور التيارات الدينية الإصلاحية وعلماء الدين في ثورة النجف وثورة العشرين

تعرضت التيارات الدينية والحركة القومية في العراق للانحسار خلال فترة الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ - ١٩١٨ وذلك بسبب ظروف الحرب اولا، والاضطهاد الذي مارسه الاتراك ضد قادة الحركة في العراق وبلاد الشام وغيرها ثانيا^(٤٧). الا انها سرعان ما استجمعت قواها وعادت للمسرح السياسي كقوة فاعلة ومؤثرة لتبلغ ذروتها ايام الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠ التي وضعها القوميون العرب في خانة الحركات القومية الرائدة، رغم ان الاسلاميين يرونها حركة جهادية نظمها وقادها رجال الدين في اطار تصديهم للاحتلال البريطاني في العراق. خلال حفية الحكم العسكري المباشر والسنوات الاولى في عهد الانتداب برز الدور

(٤٢) كوثراني، وجيه، الاتجاهات الاجتماعية - السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ١٨٦٠ - ١٩٢٠، ط١، بيروت، ١٩٧٦، ص ٣٤.

(٤٣) الحصري، ساطع، البلاد العربية والدولة العثمانية، بيروت، ١٩٦٠، ص ١٦.

(٤٤) الامين، السيد محسن، اعيان الشيعة، ج ١، ص ص ١٩٠ - ١٩٤.

(٤٥) انطونيوس، جورج، يقظة العرب، بيروت، ١٩٧٤، ص ٢٢٧.

(٤٦) الباركان، علي، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، بغداد، ١٩٥٢، ص ٦٠.

(٤٧) الحسني، عبد الرزاق، الثورة العراقية الكبرى، بيروت، ١٩٥٢، ص ٧٦.

الحاسم للعلماء في تصدرهم كقيادة دينية توجيه وقيادة المعارضة بمعظم تياراتها لتلك المشاريع والادارة الوطنية ومؤسساتها باعتبارها من صنع الانكليز. وقد تجلى هذا الدور بشكل خاص في قيادة ثورة النجف الموضعية (اذار - نيسان ١٩١٨) وثورة العشرين الكبرى حزيران - تشرين الاول ١٩٢٠) وفي معارضة الانتداب والمعاهدة العراقية - البريطانية والحكومة المؤقتة وانتخابات المجلس التأسيسي العراقي^(٤٨).

ان الشيعة العرب العراقيون هم اول من تقبل ودافع عن الافكار الداعية الى التحديث والاصلاح والقومية العربية. فلكونهم عرب فقد رفضوا الاندماج بالفرس من ناحية وبمضطهدهم الاتراك من ناحية اخرى. ولكونهم من الجهة الاخرى شيعة، فقد كانوا ناقلين على الحكم الطائفي والاستبدادي للعثمانيين. لذا كان من المنطقي بالنسبة لهم ان يتطلعوا الى حكم دستوري وكيان قومي عربي، ولذلك كانت استجاباتهم للأفكار الاصلاحية والقومية تلقائية وعميقة^(٤٩)، وأشار بهذا المعنى البرت حوراني بقوله (ان هنالك تقارب بين افكار المصلحين الاوائل والتقاليد الفكرية للشيعة). ومن اجل ذلك اعتبر محمد مهدي البصير الشاعر النجفي ابراهيم الطباطبائي اول شاعر عراقي دعا الى القومية العربية فيما اعتبر اخرون الفضل في ذلك يعود الى الشاعرين عبد الغني جميل وعبد الغفار الاخرس^(٥٠).

الا ان الدور السياسي والفكري الذي قامت به الجماعة الاسلامية وعلماءها شكل مقدمة لدورهم القيادي ابان تلك الفترة وانبثق نهضة اسلامية ارتقت الى مستوى التيارات الدينية الاصلاحية واخذت تتشكل في العراق، تركزت بشكل اساسي في المدن الشيعية المقدسة وخاصة في النجف وكربلاء حيث مثلت امتدادا وتوصلا للنهضة الفكرية - السياسية التي ظهرت في تلك المدن خلال القرن التاسع عشر وقد عبرت تلك التيارات عن نفسها بانها عمل اسلامي - حركي يتجاوز مفهوم حصر الاسلام في الاطار الديني التعبدى فقط، بمظاهر وتيارات فكرية وسياسية مختلفة اتخذت في احيان كثيرة اشكالا تنظيمية ملائمة لأوضاعها ونشاطها^(٥١). في الواقع ان تلك الاعمال القتالية توضح ان ميل العراقيين الى الترك كان واضحا والسبب في ذلك هو قوة العاطفة الدينية لدى الجمهور العراقي، لاسيما ان الزعامة السياسية كانت لرجال الدين في تلك الفترة من تاريخ العراق. وهكذا شكلت حركة الجهاد كحركة سياسية عسكرية اسلامية معادية للاحتلال والسيطرة الانكليزية، ومن ثم دور العلماء المسلمين الشيعة في اطلاقها وقيادتها والمشاركة فيها، مظهرا اساسيا من مظاهر الحركة الاسلامية، التي ستواصل الدفاع عن مشروعها في مقاومة تثبيت الاحتلال والانتداب الانكليزي وفي مشروع اقامة دولة محلية تابعة للغرب^(٥٢).

الخاتمة

في الواقع لم يشهد العراق بجماعاته الثقافية المختلفة اثناء الاحتلال العثماني للعراق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر حركة فكرية - سياسية مماثلة لتلك التي حصلت في بعض مدن بلدان المشرق العربي - الاسلامي وخاصة في مصر وبلاد الشام، لكنه شهد في المقابل عددا من الظواهر الثقافية - الدينية والادبية التي اتخذت طابعا سياسيا، وشكلت مقدمات انبثاق حركة فكرية سياسية اسلامية، عبر عنها بشكل بارز، دور مواقف المؤسسة الدينية الشيعية، ولا سيما المرجعية العليا، وبعض المجتهدين في النجف الاشرف وكربلاء وسامراء، وكما ساهم فيها ايضا، عدد من العلماء السنة في بغداد. الا ان الدور السياسي والفكري

(٤٨) تواصل هذا الدور القيادي للعلماء حتى شهر نيسان ١٩٢٤، حيث تمكنت السلطة، وبدعم من ادارة الانتداب وبعد تفتيت البنية الاجتماعية والسياسية لقوى وتيارات المعارضة من توجيه ضربات قوية لكبار المجتهدين ودورهم وذلك بنفي عدد كبير منهم الى خارج العراق، ومن ثم الاشتراط لعودتهم تعهدات خطية بعدم التدخل في السياسة وقد عاد معظمهم الى العراق في نيسان ١٩٢٤ بعد ان اضطروا لقبول شرط الحكومة فلجأوا الى الصمت والانكفاء. للتفاصيل انظر: نظمي، وميض جمال، شيعة العراق والقومية العربية، مجلة المستقبل العربي، العدد ٤٢، بيروت، ١٩٨٢، ص ٧٠.

(٤٩) Jwaideh, Imperialism and modern society. Iraq a case study. Albertin . Cambridge, 1976, P.16.

(٥٠) هاشم، جواد، مقدمة في كيان العراق الاجتماعي، بغداد، ١٩٦٤، ص ٥٠.

(٥١) عطية، غسان، التنظيم الحزبي في العراق قبل الحرب العالمية الاولى، مجلة دراسات عربية، العدد ١٢، بيروت، ١٩٧٢، ص ٣٣.

(٥٢) الطاهر، عبد الجليل، العشائر العراقية، ج ١، بغداد، ١٩٧٢، ص ٣٥.

الذي قامت به الجماعة الاسلامية الشيعية وعلماءها شكل مقدمة لدورهم في تلك الحقبة ولانبثاق نهضة اسلامية ارتقت الى مستوى الحركة.

كان المشروع السياسي الاسلامي الذي حملته الحركة الاسلامية في العراق خلال الربع الاول من القرن العشرين، قد تمثل في هدفين رئيسيين مقاومة مشاريع السيطرة السياسية والعسكرية في المنطقة ولا سيما العراق، وثانيهما التطلع لانبعاث الاسلام وتجديد فكره السياسي السائد لا صلاح اوضاع المجتمعات الاسلامية في الظروف التاريخية المستجدة. واذ مثل الاسلام ايدولوجية وفكر الحركة الاسلامية. اللذان عكسهما مشروعهما فقد استندت في تحقيق هذا المشروع على الثقافة والتراث الاسلاميين اللذين تكونا عبر قرون طويلة، كثافة وتراث شعبيين للمجتمع الاسلامي وشكلا بالتالي الجذور الفكرية والثقافية لظهورها والتي استمدت منها قوتها وامكانات نموها وتطورها .

عبرت الحركة الاسلامية بهذا المشروع عن ايدولوجية وفكر الجماعات الاسلامية التي تندرج في اطار الجماعة الاسلامية الاكبر التي تضم كافة المسلمين في العراق. الا ان التمايز الثقافي بين تلك الجماعات، الناجم عن الانتماء المذهبي او الاثني، اظهر اختلافا في مدى مساهمة كل جماعة في نشاط الحركة الاسلامية وتطورها، ونتيجة لواقع تاريخي معطى وبرزت الجماعة الاسلامية الشيعية في مقدمة تلك الجماعات لتقوم بالدور الاساسي في قيادة الحركة الفكرية والسياسية الاسلامية وتوجيهها.

المصادر

- ١- الاسدي، حسن، ثورة النجف ضد الانكليز، بغداد، ١٩٦٤.
- ٢- الاعظمي، احمد عزت، القضية العربية، اسبابها، مقدماتها، تطوراتها ونتائجها، بغداد، ١٩٣٢ .
- ٣- الامين، السيد محسن، اعيان الشيعة، ج١، بغداد، ١٩٦٠.
- ٤- البازركان، علي، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، بغداد، ١٩٥٢.
- ٥- الحسني، عبد الرزاق، الثورة العراقية الكبرى، بيروت، ١٩٥٢.
- ٦- الحسني، عبد الرزاق، العراق في دوري الانتداب والاحتلال، ج١، بيروت، ١٩٣٥
- ٧- الجابري، محمد هليل، الحركة القومية العربية في العراق بين ١٩٠٨-١٩١٤، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، ١٩٨٠.
- ٨- الجبوري، عبد الجبار حسن، الاحزاب والجمعيات السياسية في القطر العراقي ١٩٠٨-١٩٥٨، بغداد، ١٩٧٧.
- ٩- الحسني، عبد الرزاق، تاريخ العراق السياسي الحديث، ج١، ط٧، الرافدين للطباعة والنشر، لبنان، ٢٠٠٨.
- ١٠- الحصري، ساطع، البلاد العربية والدولة العثمانية، بيروت، ١٩٦٠.
- ١١- الحلفي، جاسم، الحركات الاجتماعية في العراق، الجذور، المسارات، الدور السياسي، ط١، دار سطور للنشر، بغداد، ٢٠١٧.
- ١٢- الطاهر، عبد الجليل، العشائر العراقية، ج١، بغداد، ١٩٧٢.
- ١٣- العزاوي، عباس، تاريخ العراق بين احتلالين، ج٤، بغداد، ١٩٧٥.
- ١٤- العطية، غسان، العراق نشأة الدولة، ١٩٠٨-١٩٢١، دار الاعلام، لندن، ١٩٨٨.
- ١٥- الفياض، عبدالله، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠، بغداد، ١٩٦٣
- ١٦- المحافظة، علي، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (١٧٩٨-١٩١٤)، بيروت، ١٩٨٠.
- ١٧- المقدسي، انيس الخوري، الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث، ط٢، بيروت، ١٩٦٠.
- ١٨- النفيسي، عبد الله، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، دار النهار، بيروت، ١٩٧٣.
- ١٩- الهلالي، عبد الرزاق، دراسات وتراجم عراقية، بغداد، ١٩٧٢.
- ٢٠- الورد، علي حسين، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج٣، بغداد، ١٩٧١.
- ٢١- انطونيوس، جورج، يقظة العرب، بيروت، ١٩٧٤
- ٢٢- ايرلند، فيليب، العراق دراسة في تطوره السياسي، مترجم، بيروت، ١٩٤٩.

- ٢٣- بطاطو، حنا، العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية، بيروت، ٢٠٠٣
- ٢٤- حبيب، كاظم، لمحات من عراق القرن العشرين، ج٣، مؤسسة حمدي للطباعة، السليمانية، ٢٠١١
- ٢٥- حوراني، البرت، الفكر العربي في عصر النهضة، بيروت، ١٩٧٧.
- ٢٦- حوراني، البرت، الاصلاح العثماني والمشرق العربي، مجلة(الواقع)، العدد ٤، شباط ١٩٨٢، بيروت
- ٢٧- خدوري، مجيد، الاتجاهات السياسية في العالم العربي، بيروت، ١٩٧٢.
- ٢٨- صونار، الكاي، تحول الامبراطورية العثمانية، المجتمع، الاقتصاد، الايديولوجيا، مجلة الواقع، العدد ٤، شباط، ١٩٨٢، بيروت.
- ٢٩- عطية، غسان، التنظيم الحزبي في العراق قبل الحرب العالمية الاولى، مجلة دراسات عربية، العدد ١٢، السنة ٨، بيروت، ١٩٧٢.
- ٣٠- كمال الدين، محمد علي، ثورة العشرين في ذكراها الخمسين، بغداد، ١٩٧١
- ٣١- كمال الدين، محمد علي، التطور الفكري في العراق، بغداد، ١٩٥٩.
- ٣٢- كوتولوف. ل.ن.. ثورة العشرين التحررية الوطنية، مترجم، بيروت، ١٩٧٢.
- ٣٣- كوثراني، وجيه، الاتجاهات الاجتماعية -السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ١٨٦٠ - ١٩٢٠، ط١، بيروت، ١٩٧٦.
- ٣٤- لوتسكي، ف. أ. تاريخ الاقطار العربية الحديث، ترجمة عفيفة البستاني، دار التقدم، موسكو، ١٩٧١.
- ٣٥- لونكريك، ستيفن همسلي، اربعة قرون من تاريخ العراق، ترجمة، جعفر خياط، بيروت، ١٩٤١.
- ٣٦- نظمي، وميض جمال، شيعة العراق والقومية العربية، مجلة المستقبل العربي، العدد ٤٢، ٤٣، بيروت، ١٩٨٢.
- ٣٧- نوار، عبدالعزيز سليمان، تاريخ العراق الحديث، القاهرة، ١٩٦٨.
- ٣٨- هاشم، جواد، مقدمة في كيان العراق الاجتماعي، بغداد، ١٩٦٤.

المصادر الأجنبية

- 39- Batatu. Hanna, The old social classes and the revolution movement of Iraq, London, 1978.
- 40- Bill. G. L. The Letters of Gertrud Bill, Vol. 2, London, 1927.
- 41- Jamal. M. F. 'The new Iraq. Its problem of bedewing education, London, 1940.
- 42- Jwaideh. Albertin, Imperialism and modern society. Iraq a case study. Cambridge, 1976.
- 44- Warriner. D; Land and proverty in the Middle East, London, 1948.